الذات المتغايرة في شعر المرأة الأندلسية

الكلمات المفتاحية: الذات، المتغايرة، شعر المرأة

مروة حاتم جسام ا٠م٠د٠ لؤي صيهود فواز

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Marwajassam2017@gmail.com luay75272@gmail.com

الملخص

يشكل الشعر النسوي الأندلسي جانبًا مشرقًا من جوانب الشعر العربي في بلاد الأندلس وهو امتداد له في تلك البلاد، وقد تناول هذا البحث الذات المتغايرة في شعر المرأة الأندلسية؛ إذ تناول الذات الملتزمة، والذات المتحررة، والذات المتمردة، والذات الساخرة، كشف البحث عن واقع الحياة الاجتماعية التي تعيش فيها المرأة الأندلسية الممزوجة بالثقافات والديانات المختلفة؛ لذلك خرجت ذات المرأة في الشعر ذات متغايرة ومختلفة.

المقدمة

قد حظي مفهوم الذات بالدراسة والعناية لدى كثير من الباحثين وعلماء النفس؛ إذ تشكل الذات الهوية الشخصية للفرد التي نستطيع من خلالها ملاحظة سلوكه، وينشأ مفهوم الذات عن طريق تفاعل الفرد مع البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه؛ لتتضح بعد ذلك صورة الذات عند الفرد، وهذا البحث سوف يتناول الذات المتغايرة في شعر المرأة الأندلسية، وقد اشتمل على عِدَّة محاور، هي: المستخلص، والمقدمة، والذات الملتزمة والذات المتحررة، والذات المتمردة، والذات الساخرة، والخاتمة التي تضمنت نتائج البحث، وسرد بالمصادر.

أولًا: الذات الملتزمة

((إنَّ شعراء الأندلس آثروا أن يعيشوا أمدًا طويلًا في جواء المحافظة، جاهدين في الالتصاق بالموضوعات التقليدية))[١].

والشاعرة الأندلسية كلما كانت قريبة العهد بزمان الفتح كانت أقرب إلى عروبتها وبالتالي إلى حشمتها؛ إذ كانت ملتزمة ومحافظة على المعاني العربية والقيم الأصيلة مستمدة كثير

من ألفاظها ومعانيها من الأدب المشرقي حتى لقبت الشواعر الأندلسيات بِأسماء الشواعر المشرقيات(٢).

ومن ذلك نستطيع القول: إنَّ شعر المرأة الأندلسية كلما كان قريب العهد بزمان الفتح كان أقرب إلى الرصانةِ والعفاف خاليًا من الألفاظ الفاحشة ((وخاصة في مرحلة الفتح وما تلاها من التواجد العربي في تلك الربوع الغربية))(٣).

إذ اظهرت الشاعرة الأندلسية ذاتًا ملتزمة بتعاليم الدين الإسلامي، وقالت مؤكدةً أَنَّ القضاء والقدر بيد الله عزَ وجل، تقول بثينة بنت المعتد بن عباد:

لَمَّا أَرادَ الله فُرْقَةَ شَملِنَا وأَذَاقَنَا طَعْمَ الأَسى مِن زادِ
قامَ النِّفَاقُ على أَبي في مُلْكهِ فَدَنَا الفِراقُ ولَم يَكُنْ بِمُرادِ(٤)

وقالت أنس القلوب معتذرة:

أَذنبتُ ذَنْبًا عَظيمًا فَكَيفَ منهُ اعتذارِي
واللهُ قَدَّرَ هذا ولم يكنْ باختياري(٥)

وعبَّرت الشاعرة الأندلسية عن ذاتٍ ملتزمة بالقيم التربوية في المجتمع ومنه قول بثينة بنت المعتمد بن عباد إذ ترسل رسالة إلى أبيها تستأذنه في الزواج، تقول فيها:

فَخَرَجْتُ هارِبَة فَحَازَنِي امرُؤُ لم يَأتِ في إعْجَالِهِ بِسَدَادِ
إذ بَاعَنِي بَيْعَ العَبيدِ فَضَمَّنِي مَن صَانَنِي إلَّا مِنْ الأَنْكَادِ
وأَرَادَني لنكاح نجلٍ طاهرٍ حَسَنِ الخَلائِقِ مِن بَنِي الأَنْجَادِ
وَمَضَى إليكَ يَسُومُ رَأيَك في الرِّضا ولأَنْتَ تَنْظُرُ في طرِيقِ رَشَادي
وعَسَى رَمِيكِيَةُ المُلُوكِ بفَضْلِها تَدْعُو لَنَا باليُمْنِ والإِسْعَادِ(٦)

بدأت الشاعرة تسرد الأحداث بأسلوب قصصي كيف إنها خرجت هاربة بعد أَنْ حلت النكبة بأبيها المعتمد وبيعت بيع العبيد فاشتراها أحد التجار وأراد أن يزوجها لابنه؛ فأظهرت الأنا الالتزام بالقيم التربوية عندما بدأت تستأذن والدها في موافقتهِ بالزواج إذ تقول (ومضى إليك يسُومُ رأيكَ في الرِّضا ولأنتَ تنظُر في طريق رشادي) ثم تطلب الأنا في البيت الأخير بأسلوب أخلاقي من والدتها أن تدعوا لها باليمنِ والإسعاد.

وهنـأت الشـاعرة الأندلسـية بحلـول العيـد؛ لأنـه ((مناسـبة إسـلامية يجـب تخليـدها واحترامها))[٧]، تقول حفصة الركونية مهنئة ملك غرناطة يوم العيد:

يا ذا العُلا وابنَ الخليـ فةِ والإمام المرتَضَى
يهنيكَ عيدٌ قد جرى فيهِ بما تهوى القضا
وأتاكَ من تهواهُ في قيدِ الإنابة والرضى
ليُعيد من لذّاته ما قد تَصَرَّمَ و انقضى[٨]

وأظهرت المرأة الأندلسية في شعرها ذاتًا منسجمة ومتفاعلة مع المجتمع، إذ نجدها تعبر عن معاناة الشعب وما حال بهم من ظلم من الحكام وهذا دليل على ذات المرأة الملتزمة والمتفاعلة مع عناصر المجتمع، تقول الشلبية معبرة عن معاناة مدينتها شلب:

قد آنَ أنْ تبكي العيونُ الآبية ولقد أَرى أَنَّ الحجارةَ باكي
يا قاصدَ المصر الذي يُرْجَى بهِ إنْ قَدَّرَ الرحمنُ رَفْعُ كَرَاهِيةْ
نَادِ الأَميرَ إذا وقفتَ بِبابهِ يا راعيًا إنَّ الرعيَّةَ فانِيةْ
أَرْسَلتَها هَمْلًا ولا مَرْعى وتَرَكْتَها نَهْبَ السِّباعِ العادِيةْ
شلب كلا شلب وكانت جَنَّةً فَأَعَادَهَا الطَّاغونَ ناراَ حامِيةْ
حافُوا وما خافُوا عُقُوبةَ رَبِّهِمْ واللهُ لا تَخْفَى عَلَيهِ خَافِيةْ[٩]

وظهر في مدح المرأة ذاتًا ملتزمة تحث على الكرم والجود في النفس الإنسانية ومن ذلك نذكر قول قمر البغدادية تمدح مولاها إبراهيم بن الحجاج، تقول:

ما في المغَاربِ مِنْ كَريمٍ يُرْتَجى إلا حَلِيفُ الجُودِ إبراهيمُ
إنِّي حَلَلْتُ لديهِ منزلَ نعْمَةٍ كلُّ المنازلِ ما عداهُ ذَميم[١٠]

أما ذات المرأة في الغَزَلْ فنجدها تتجه اتجاهين ذاتًا ملتزمة وهي تمثل الغزل العذري العفيف الذي تتسامى فيه عن الحس والمادة إلى النقاء والطهر، وذاتًا متحررة وهي تمثل الغزل الإباحي الماجن الذي تقوم فيه على التصور الحسي المادي، ويكون في اساسهِ حب ممتزج بالرغبة والشهوانية أو عاطفة خالية من التحرج[١١]. ومن الشواعر الأندلسيات اللواتي قُلنَّ شعرًا عفيفًا الشاعرة زينب المرية[*] لها أبياتًا شعرية تشكو فيها فراق من تحبّ، وتتحدث عنه بضمير المفرد الغائب[١٢]، تقول:

يا أيُّها الراكبُ الغادِي لِطَيتِهِ عَرِّجْ أُنَبِّئْكَ عن بَعضِ الذي أَجِدُ
ما عَالَجَ الناسُ من وَجْدٍ تَضَمَّنَهُم إلا وَوَجْدِي بهمْ فَوْقَ الذي وَجَدُوا
حَسبْي رِضَاهُ وأَنِّي في مَسَرَّتِهِ وَوُدِّهِ آخِرَ الأَيَّامِ أَجْتَهِدُ(١٣)

خاطبت الأنا الآخر الحبيب البعيد في الرحلة بأسلوب النداء لتشكو لهُ الألم والفراق الذي سببهُ بعده عنها وتنفس عن مكبوتات الذات وتعبر عن حبّها الذي فاق حب الناس، وأنا الشاعرة لا تتمنى شيء سوى رضا الحبيب وودّه آخر الأيام.

ونلتقي في وادي الحجارة بأم العلاء بنت يوسف الحجارية؛ إذ تقدم لنا غزلًا عفيفًا مطبوع بطابع الحشمة والوقار، ومجتمعه فيه معاني الحب والحنان والمديح، تقول فيه:

كلُّ ما يَصْدُرُ عنكمْ حَسَنُ وبِعُلْياكُمْ تَحَلىَّ الزَّمَنُ
تَعْطِفُ العَيْنُ على مَنْظَرِكُمْ وبِذكراكُمْ تَلَذُّ الأُذُنُ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمْ في عُمْرِهِ فهوَ في نَيْلِ الأَمَاني يُغْبَنُ(١٤)

ومنهن أيضًا حفصة الركونية لها غزل عفيف في حبيبها أبو جعفر، تقول:

سلامٌ يفتّحُ في زهرِهِ الـ كِمَامَ ويُنْطِقُ ورْقَ الغُصُونْ
على نازحٍ قد ثوى في الحَشا وإنْ كانَ تُحْرَمُ منهُ الجُفُونْ
فلا تَحْسَبُوا البُعدَ يُنسيكُمُ فذلِكَ والله ما لا يَكونْ(١٥)

ابتدأت الأنا بسلام للآخر الحبيب البعيد عنها ولكن رغم غياب الآخر الحبيب فأنا الشاعرة تحسه موجودًا في فؤادها ولا تستطيع نسيانه بقولها (فلا تحسبوا البُعد ينسيكم فذلك والله ما يكون).

يتضح لنا مما تقدم أَنَّ الشاعرة الأندلسية قد أظهرت في شعرها ذاتًا ملتزمة محافظة على المعاني العربية التقليدية وذلك في بداية الفتح العربي الإسلامي للأندلس قبل القرن الخامس الهجري؛ بسبب تأثير الثقافة العربية وانتشار الدين الإسلامي وتفاعل عناصر المجتمع الأندلسي معه.

ثانيًا: الذاتُ المتحرِّرَة

إنَّ الشاعرة الأندلسية كلما بعد العهد بها بزمان الفتح كانت أقرب إلى التحرر والانفتاح؛ إذ انغمست في صلب الأندلسية وتجاوزت حدود الأعراف والتقاليد، فخلعت لِنفسها الاعذار

وعبّرت عن مشاعرها بشكل صريح مكشوف وتَغَزَلَتْ بالرجل تغزل الرجل بالمرأة، ولم تكتفي بذلك فحسب بل وصفت له مفاتنها ودَعته إلى ليالي الأنس والغرام، وذهبت إليه زائرة تطرق بابهِ وتنادمه، كما ولم تتورع من ترديد الألفاظ الفاحشة والبذيئة بحقهِ(١٦).

ولَعَلَنا نعزي سبب هذا التحرر إلى بعض الأسباب التالية:

١. الحرية التي تمتعت بها في ظل البيئة الأندلسية، وانتشار مجالس اللهو والرقص والغناء، ذلك مما ساهم في تحررها وميلها إلى الانفتاح.

٢. النرجسية وحب الذات، إذ نشأت اغلب الشواعر الأندلسيات من الحرائر في أسر ثرية واسعة النفوذ والجاه فذلك مما ساعد على تكوين ملامح النرجسية لديهن وشعورهن بالكبرياء والرفعة، ومن ثمّ قادهُنَّ ذلك الشعور أحيانًا إلى تجاوز الأعراف والتقاليد.

ومن هنا سوف نقف عند صورة الذات المتحررة، إذ صورت المرأة الأندلسية في شعرها ذاتًا متلهفة للحب والعشق اتجاه من تحب ولم تحبس عواطفها بل صَرَّحت بها، فهذه متعة(*) جارية الشاعر زرياب المعروف،((قالت للأمير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة، فلما أدركت بأعجابها بهِ صَرَّحت له عن رغبتها، فأبى إلا التستر))(١٧)، تقول:

يا مَنْ يُغَطي هواهُ مَن ذا يُغَطّي النَهارا
قَدْ كنتُ أملكُ قَلْبي حتى عَلِقْتُ فَطارا
يا ويلتا أَتراهُ لي كان، أو مستَعارا
يا بأبي قُرشيٌ خلعتُ فيه العِذارا(١٨)

استعملت الشاعرة أسلوب النداء وبدأت تبين للأمير بشكل غير صريح عن مشاعرها اتجاهه وإعجابها به بقولها (يا من يغطي هواه)، ثم انتقلت في البيت الأخير إلى التصريح واعلان مشاعرها إذ تقول (يا بأبي قرشي خلعت فيه العذارا).

وصَرَّحت أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح لمن هو أقل منها منزلة فهي الأميرة وهو فتى من فتيان القصر يدعى (بالسمار) وفي حبّها له طرحت كل معاني الاعتداد بالذات فهي من مستلزمات طبيعة المرأة(١٩)، تقول:

يا مَعْشَرَ النَّاسِ أَلا فَاعْجَبُوا مِما جَنَتْهُ لَوْعَةُ الحُبِّ
لولاهُ لم يَنْزِلْ بِبَدرِ الدُّجَى مِن أُفْقِهِ العُلْويِّ لِلتُّرْبِ

حَسْبِي بِمَنْ أَهواه لو أَنَّهُ فَارَقَنِي تابَعَهُ قَلْبي[٢٠]

بدأت الشاعرة بأسلوب الخطاب الجمعي للناس بقولها (يا معشرَ الناسِ) لتشاركهم معها بما فعلت نار الحب بها، ولتعلق ذات الشاعرة بالآخر الحبيب ترى لو أنه فارقها لفارقها قلبها معه.

وفي موقف آخر لأم الكرم نجدها تطلب خلوة بالحبيب، فتقول:

ألا لْيتَ شِعْري هَلْ سَبيلٌ لِخَلْوَةٍ يُنَزَّهُ عَنها سَمْعُ كُلِّ مُرَاقِبِ

ويا عَجَبًا أَشْتَاقُ خَلْوَةَ مَنْ غَدَا ومَثْواهُ ما بين الحَشَا والتَّرَائِبِ[٢١]

فالشاعرة تطلب خلوة بحبيبها بعيدة عن عيون المراقبين، ثم تتعجب من نفسها كيف تشتاق خلوة للحبيب ومثواه في القلب. ولم تكن أم الكرم هي الوحيدة التي عشقت لمن أقل منها منزلة بل فعلتها قبلها علية بنت المهدي في حبها لطل، واخت الخليفة الرشيد مع فتاها أيضًا[٢٢].

وعندما كانت أم الكرم تتمنى خلوة مع حبيبها وجدنا ولادة بنت المستكفي تعطي موعدًا لحبيبها في زيارتهِ ليلًا، متحررة بذلك من الضوابط الدينية والاجتماعية، إذ تقول:

تَرَقَّبْ إذا جَنَّ الظلامُ زِيَارتي فإِنِّي رأَيتُ الليلَ أَكْتَمَ لِلسِّرِّ

وبي مِنْكَ ما لو كان بالبدرِ ما بدا وباللَيلِ ما أَدجى وبالنجمِ لم يسرِ[٢٣]

رسمت ولادة صورة الذات الفاصحة عن رغبتها الذاتية في زيارة حبيبها ليلًا لتكون بعيدة عن عيون المراقبين والوشاة، والجرأة بالخروج وقد جنّ الظلام دليلٌ على حرية المرأة الأندلسية فالاستعداد النفسي إنما يكون للمرأة في مستقرها وعلى الرجل المغامرة في مثل هذه الظروف[٢٤].

وعندما حان وقت الفراق كتبت إليه تقول:

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ ذائعٌ من سِرّهِ ما اسْتَوْدَعَكْ

يَقْرَعُ السِّنِّ على أَنْ لم يكنْ زادَ في تِلكَ الخُطَى إذْ شَيَّعَكْ

يا أَخَا البدرِ سَناءً وسَنًا حَفِظَ اللهُ زَمَانًا أَطْلَعَكْ

إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ ليلي فَلَكَمْ بِتُّ أَشْكُو قِصرَ الليلِ مَعَكْ[٢٥].

وصفت الشاعرة هنا مشاعر الحب والعشق لحبيبها ابن زيدون دون حياء أو تحرج متغزله بهِ إذ تشبهه باخا البدر لجمالهِ وعلو منزلتهِ، ولتعلق ذات الشاعرة بالآخر الحبيب نجدها تستعمل الفاظ (ودعَ) (ودعك) (استودعك) (بعدك) لتعبر بها عن لواعج الذات التي باتت تشكو قصر الليل مع حبيبها، ويبدو أن الانسجام الصوتي الذي تظهره القافية قد أسهم في تشكيل صورة الذات، وما يرتبط بها من مشاعر عندما ودعت حبيبها(٢٦).

ثم تأتي خصوصية الجرأة والصراحة في القول عند حفصة الركونية، التي رغم الخصوصية التي كانت موجودة في عصرها وامتداد سلطة الفقه والفقهاء،إذ كانت بيئتها ذات صبغة دينية لكن ذلك لم يقف حاجزًا في اعلان مشاعرها بل صَرَّحَتْ بها واعلنت حبّها للوزير أبو جعفر وتغزلت بهِ غزلًا صريح مكشوف يفوق غزل الرجل بالمرأة(٢٧). ومن غزلها الجريء لها أبياتًا تصف فيها ثنايا حبيبها، تقول:

ثَنَائِي على تِلْكَ الثَّنَايَا لأَنَنِي أَقُولُ على عِلْمٍ وأَنْطِقُ عن خُبْرِ
وأَنْصِفُهَا لا أَكْذَبُ الله إنَّنِي رَشَفْتُ لها رِيقًا أَلَذَّ من الخَمْرِ(٢٨).

رسمت الشاعرة صورة الأنا التي اباحت بمشاعرها للآخر الحبيب بعاطفة جريئة إذ تصف اطراف الحبيب وتقول إنَّها رشفت بها ريقًا ألذ من الخمر، والصورة الغزلية على جرأتها وصراحتها لصدورها من امرأة جمعت إلى الصراحة حسن التصوير واصطناع الدلال، كما عمدت إلى صيغة الجد الساخر في تحرزها (لا أكذب الله)(٢٩).

وعبرت حفصة عن مشاعر الغيرة على حبيبها أبو جعفر، فقالت:

أَغارُ عليكَ من عَيْني وقَلْبي ومِنْكَ ومِن زَمَانِكَ والمكَانِ
ولو أنِّي جَعَلتكَ في عيوني إلى يَوْمِ القيامةِ ما كَفَانِي(٣٠)

وحفصة في حبها للوزير أبو جعفر خرقت القيم والأعراف وتجاوزتها، وفقدت الكبرياء الأنثوي عند المرأة؛ لأن المرأة مهما لج بها العشق ومهما صنعت بها الصبابة ينبغي أن تكتم بعض مشاعر الحب والتذلل للحبيب ليغامر بها الرجل ويصرح لها أولًا حتى تكون المرأة معشوقة لا عاشقة مرغوبة لا راغبة، ولكن حفصة فعلت عكس ذلك وكشفت عن ذات محبّة لا تستطيع التكتم، إذ يستبد بها الشوق إلى حبيبها فترسل إليه بطاقة شعرية تدعوه إلى ليلة أنس(٣١)، تقول:

أَزُرُكَ أَمْ تَزورُ فإنَّ قَلْبي إلى ما تَشْتَهِي أَبدًا يَمِيلُ
فَتَغْرِي مَوْرِدٌ عَذْبٌ زُلالٌ وَفَرْعُ ذُؤابَتي ظلٌّ ظليلُ
وهَلْ تَخشَى بِأن تَظمَى وتَضْحى إذا وَافَى إليكَ بيَ المَقيلُ
فَعَجِّل بالجَوابِ فما جَميل إباؤكَ عن بثينة يا جَميل(٣٢).

بدأت الشاعرة بتخيير حبيبها بزيارة معلنة عن مشاعر الحب والشوق إليه وواصفه له جمال الأنا لإغرائهِ ((جاعلة من جمالها فردوسًا يلوذ بهِ الحبيب فلا ظمأ ولا رمض بل ظل ظليل))(٣٣)، وتبوح أنس القلوب بمشاعرها الصادقة لأحد وزراء المنصور بن أبي عامر، تقول:

نَظَرِي قَدْ جَنَى عَلَيَّ ذُنُوبًا كيفَ مِمَّا جَنَتْهُ عَيْنِي اعْتِذَاري
يا لِقَومِي تَعَجَّبُوا مِنْ غَزَالٍ جَائرٍ في مَحَبَّتي وهوَ جَاري
لَيْتَ لَوْ كانَ لِي إلَيْهِ سَبِيلٌ فأُقضِّي مِنْ حُبِّهِ أَوطَارِي(٣٤).

صَرَّحَتْ الشاعرة بكل جرأة عن فرط اعجابها بالوزير وعشقها له متغزله بهِ دون حياء أو تحرج من ذلك، إذ تشبهه بالغزال وهو تشبيه استعمله الشعراء قديمًا في وصف المرأة بهِ لكن الشاعرة عكست ذلك، ووصفت بهِ حبيبها الذي تتمنى خلوة معه لتقضي من حبه رغباتها، وبهذهِ الجرأة والصراحة في البوح بالمشاعر صَرَّحَتْ حفصة بنت حمدون الحجارية عن مشاعرها لرجل أحبته يدعى أبن جميل، تقول:

رَأى ابْنُ جَمِيلٍ أنْ يُرَى الدَّهْرَ مُجْمِلًا فَكُلُّ الْوَرَى قَدْ عَمَّهُمْ سَيْبُ نِعْمَتِهِ
لَهُ خُلُقٌ كَالْخَمْـرِ بَعدَ امْتِزَاجِهَا وَحُسْنٌ فمَا أَحْلاهُ من حِينِ خِلْقَتِهْ
بِوَجْهٍ كَمِثْلِ الشَّمْسِ يَدْعُو بِبِشْرِهِ عُيُونًا ويُعْشِيهَا بِإفْراطِ هَيْبَتِهْ(٣٥).

أفصحت حفصة عن مشاعرها للرجل الذي أحبته دون خوف أو خجل إذ نجدها تصف أخلاقه بالخمر بعد امتزاجها بالماء لرقتها وعذوبتها، كما شبّهت جمال وجهه بالشمس في إشراقها وضيائها وأضفت عليه صفات الشجاعة والكرم.

ثالثًا: الذات المتمرِّدة:

قد بَلَغَ التحرر والانحلال الأخلاقي عند المرأة الأندلسية أن تحب امرأة مِن جِنسها (الجنسية المثلية) أو(التغزّل بالمؤنث)(٣٦)، متجاوزة القيم والأصول العربية وكاسرة كلّ القيود

الاجتماعية في المجتمع، وظاهرة التغزّل بالمؤنث وجدناها عند شاعرتين من شواعر القرن الخامس الهجري هما: حمدة بنت زياد، ومهجة القرطبية، عصر ملوك الطوائف خاصة الذي كثر فيه الفساد واللهو والمجون؛ بسبب تردّي الوضع السياسي، ومن ذلك نذكر قول حمدة بنت زياد تصف فتاة تسبح في الوادي فتثير مشاعرها، فتقول:

وَمِنْ بينِ الظِّباءِ مهاةُ أُنْسٍ لَهَا لُبِّي وقد سلبت فُؤَادِي
لها لَحْظٌ تُرَقِّدُهُ لأَمْرٍ وذَاكَ الأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادي
إذا سَدَلتْ ذَوَائِبَهَا عَلَيْها رأَيْتَ البدْرَ في أفْقِ السَّوادِ
كأَنَّ الصُّبْحَ ماتَ لهُ شقيقٌ فمِنْ حُزْنٍ تَسَرْبَلَ بالحِدَادِ(٣٧)

مثلت حمدة في هذه الأبيات صورة المرأة المتحررة المتمردة على عادت وتقاليد المجتمع، إذ نجدها تصرح بحبها وشغفها لفتاة من جنسها فتتغزل بها وتصور جمال اللحظ الذي منعها من النوم وجمال الوجه الذي يشبه الصبح المشرق((فالصبح الأبيض هو الوجه نكب في شقيق له فتسربل بالحداد وهو الذوائب السوداء))(٣٨).

وتغزلت مهجة القرطبية بجمال اللحظ والثغر عند المرأة، فقالت :

لئن قد حَمى عَن ثَغْرِها كلَّ حائمٍ فما زالَ يُحْمى عن مُطالِبِه الثَّغْرُ
فذلكَ تَحْميهِ القواضبُ والقَنا وهذا حَماهُ من لواحِظِهَا السِّحْرُ(٣٩)

رابعًا: الذات الساخرة من الآخر:

غلب على الشعر النسوي الأندلسي عامة طابع الهجاء المقذع والسخرية؛ فلم تكن شواعر الأندلس شواعر غزل وحب فحسب بل كنَّ هَجَّاءات سليطات اللسان في هجائهن فقد هجت الشاعرة الأندلسية الرّجل بأقذع الألفاظ والمعاني الفاحشة، والهجاء إن كان على نبوه مقبولًا من الرجل فإنه بعيدٌ تمامًا عن أنوثة المرأة(٤٠).

ومن العيوب التي سخرت منها الذات من الآخر الرجل القبيح المنظر ومن ذلك نذكر قول نزهون الغرناطية في رجل تقدم لخطبتها، قالت له:

عَذيري من عاشقٍ أَنوك سَفيه الإشارة والمَنْزَعِ
يَروم الوِصال بما لو أتى يَروم به الصَّفع لم يُصْفَعِ
بِرأسٍ فَقيرٍ إلى كيّه ووجهٍ فقير إلى بُرقعِ(٤١)

فالأنا ساخرة من الآخر الذي تقدم لخطبتها ووصفته بالبذاءة والحماقة، وقالت ساخرة أيضًا لأحد الرّجال الذي أعجب بجمالها:

وذِ شَقْوةٍ لمَّا رآني رَأى لهُ تَمنيِه أَن يَصْلي معي جَاحِمَ الضَّرْبِ
فقلتُ لهُ كُلها هنيئًا فإنَّما خُلِقْتُ إلى لِبسِ المطارفِ والشُّرْبِ[٤٢]

وبهذه العيوب نفسها هجت عائشة القرطبية رجل تقدم لها، فقالت ساخرة منه:

أنا لَبوَةٌ لكنَّنِي لا أَرتَضِي نَفْسِي مُناخًا طُولَ دهري من أحدْ
وَلَو انَّنِي أَختَارُ ذلِكَ لم أُجبْ كَلبًا وكَمْ غَلَقتُ سَمعِي عن أسدْ[٤٣]

وترد نزهون على الشاعر أبو بكر المخزومي الأعمى بألفاظ بذيئة تخرج فيها من العفاف، إذ تتحدر في ردها عليه إلى مستوى أبياته المفحشة[٤٤]، فتقول:

قُلْ للوضيع مقـالًا يُتْلى إلى حين يُحْشَرْ
مِنْ المدوَّرِ أُنْشِئْـ تَ والـ (...)[٤٥] منهُ أَعْطَرْ
حيثُ البداوةُ أَمسَتْ في مَشْيِها تتبخْتَرْ
لذاك أَمْسَيْتَ صبًّا بكل شيءٍ مدَّورْ
خُلِقْتَ أعْمَى ولكنْ تَهِيمُ في كلِّ أعورْ[٤٦]

هجت الشاعرة أبو بكر المخزومي بألفاظ بذيئة لتسخر منه وتقلل من شأنه، واعطى هجائها صورة واضحة لما كان سائدًا في المجتمع الأندلسي من فساد وانحلال في الاخلاق، وصورة اخرى لشعرها الذي يتسم بالجرأة والقول الفاحش، والصورة المجملة تنبئ عن جانب من مجتمع مبتذل منحلّ[٤٧].

وإذ انتقلنا إلى ولادة بنت المستكفي وجدناها افحش في القول من قريناتها ومن هجائها قولها وهي تسخر من ابن زيدون، تقول:

ولُقبت المسَدَسَ وهو نَعتٌ تفارقك الحياةُ ولا يفارقْ
(...)[٤٨] ومأبـونٌ وزانٍ وديـوثٌ وقرنانٌ وسارقْ[٤٩]

وتقول ساخرة أيضًا:

إنَّ ابن زيدون على فضله يعشقُ (...)[٥٠] (...)[٥١]
لو أبْصرَ (...)[٥٢] على نخلةٍ صارَ من الطير الأبابيلِ[٥٣]

الخاتمة

- اعتمدت المرأة الأندلسية المقطعات القصيرة في أشعارها ولم تصل إلى مستوى القصائد المطولة.
- أثر التفاعل الاجتماعي بين عناصر المجتمع الأندلسي في تحرر المرأة الأندلسية، واختلاطها مع عناصر المجتمع الإسباني النصراني وتطبعها بعاداتهم وتقاليدهم غير ملتزمة بالقيود الاجتماعية.
- كشف شعر المرأة الأندلسية عن ذوات متعددة ومتغايرة منها، الذات الملتزمة، والذات المتحررة، والذات المتمردة، والذات الساخرة.
- مازج شعر المرأة الأندلسية بين المحافظة والالتزام بالمعاني العربية التقليدية، وبين التحرر والتجديد والابتكار في المعاني.

Abstract

The heterogeneous self in Andalusian women's poetry

The master's student supervisor

Prof. Loay Zehoud Fawaz Al-Tamimi

Diyala University, College of Education for Humanities

Marwa Hatem Jassam

Key words: self, heterogeneous, women's Poetry, Andalusia

Andalusian feminist poetry is a bright aspect of Arab poetry in the country of Andalusia and it is an extension of it in those countries, and this research dealt with the heterogeneous self in the poetry of Andalusian women, as it touched on the committed self, the liberated self, the rebellious self, and the sarcastic self, revealing the search for the reality of life The social life in which Andalusian women live with different cultures and religions; therefore the same woman emerged in poetry with a variable and different.

الهوامش

(١) ملامح الشعر الأندلسي: عمر الدقاق، دار الشرق، بيروت ١٩٧٥م: ٤٣.

(٢) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م: ١١٨.

(٣) ملامح الشعر الأندلسي: ٤٤.

(٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م: ٢٨٤/٤.

(٥) المصدر نفسه: ٦١٨/١.

(٦) المصدر نفسه: ٢٨٤/٤.

(٧) صورة الذات في شعر الشريف الرضي: قاسم كريم أحمد الخولاني، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م:٢٠٩.

(٨) نفح الطيب: ١٧٧/٤.

(٩) المصدر نفسه: ٢٩٤/٤.

(١٠) المصدر نفسه: ١٤١/٣.

(١١) ينظر: . بناء الصورة التشبيهية في القصيدة النسائية الأندلسية: وسمية مختاري،رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر، بلقايد تلمسان، ٢٠١٦م: ٣٨.

(*) زينب المرية: لم تترجم لها المصادر غير إن ذكرها المقري في النفح بأنها أديبة شاعرة. نفح الطيب: ٢٨٦/٤.

(١٢) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه:١٤٥.

(١٣) نفح الطيب: ٢٨٦/٤.

(١٤) المصدر نفسه: ١٦٩/٤.

(١٥) المصدر نفسه: ١٧٥/٤. ١٧٦.

(١٦) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١١٨.

(*) متعة: وهي جارية أبو الحسن علي بن نافع الملقب (بزرياب) قال عنها المقري انها كانت رائعة في الحسن والجمال. نفح الطيب: ١٢٢/٣-١٣١.

(١٧) المصدر نفسه: ١٣١/٣.

(١٨) المصدر نفسه: ١٣١/٣.

(١٩) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٨.

(٢٠) المغرب في حلى المغرب: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م: ٢٠٢/٢-٢٠٣.

(٢١) المصدر نفسه: ٢٠٣/٢.

(٢٢) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٨.

(٢٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت . لبنان ١٩٩٧م: ٤٣٠/١.

(٢٤) ينظر: الجرأة في شعر الغزل النسائي في الأندلس: هادي طالب محسن العجيلي، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد: ٢٣، العدد ٤، ٢٠١٥م: ١٧٧٧.

(٢٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ٤٣١/١.

(٢٦) ينظر: حفريات أندلسية: د. صالح ويس محمد، المشاركون: د. غيداء أحمد سعدون، د. واقدة يوسف كريم، د. أحمد خلف صالح المفرجي، د. مثنى عبدالله المتيوتي، ط١، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٨م: ١١٧.

(٢٧) ينظر: الجرأة في شعر الغزل النسائي في الأندلس: ١٧٨١.

(٢٨) نزهة الجلساء في أشعار النساء: للإمام جلال الدين السيوطي،مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، بولاق، القاهرة، د.ت: ٤٢.

(٢٩) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٢٨.

(٣٠) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي . بيروت، ١٩٩٣م: ١١٨٥/٣.

(٣١) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٢٥.

(٣٢) معجم الأدباء: ١١٨٤/٣.

(٣٣) حفريات أندلسية: ١٢٣.

(٣٤) نفح الطيب: ٦١٧/١.

(٣٥) المصدر نفسه: ٢٨٥/٤.

(٣٦) ينظر: ميزات الغزل عند الشاعرات الأندلسيات في ضوء النقد النفسي الحديث (بحث) عباس إقبالي، فائزة يسندى، إضاءات نقدية فصيلة محكمة، السنة الخامسة، العدد٢٠، كانون الأول، ٢٠١٥م.

(٣٧) نزهة الجلساء في أشعار النساء: ٤٧.

(٣٨) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٤.

(٣٩) نفح الطيب: ٢٩٣/٤.

(٤٠) ينظر: الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية: فوزية عبدالله العقيلي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ٢٠٠٠م: ١٥٦.

(٤١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضبي، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط١، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٩م: ٧٣٢/١.

(٤٢) نفح الطيب: ٢٩٦/٤.

(٤٣) المصدر نفسه: ٢٩٠/٤.

(٤٤) ينظر: حفريات أندلسية: ١٣٣.

(٤٥) كلمة بذيئة.

(٤٦) المغرب في حلى المغرب: ٢٢٨/١.

(٤٧) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٦٣.

(٤٨) كلمة بذيئة.

(٤٩) نفح الطيب: ٢٠٥/٤.

(٥٠) كلمة بذيئة.

(٥١) كلمة بذيئة.

(٥٢) كلمة بذيئة.

(٥٣) نفح الطيب: ٢٠٦/٤.

المصادر والمراجع

أوّلًا: الكتب:

- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضبي، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط١، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٩م.
- حفريات أندلسية: د. صالح ويس محمد، المشاركون: د. غيداء أحمد سعدون، د. واقدة يوسف كريم، د. أحمد خلف صالح المفرجي، د. مثنى عبدالله المتيوتي، ط١، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٨م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت . لبنان ١٩٩٧م.
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي . بيروت، ١٩٩٣م.
- المغرب في حلى المغرب: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ملامح الشعر الأندلسي: عمر الدقاق، دار الشرق، بيروت ١٩٧٥م.
- نزهة الجلساء في أشعار النساء: للإمام جلال الدين السيوطي، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، بولاق، القاهرة، د.ت.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

ثانيًا: رسائل الماجستير:

- بناء الصورة التشبيهية في القصيدة النسائية الأندلسية: وسمية مختاري، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر، بلقايد تلمسان، ٢٠١٦م.

- الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية: فوزية عبدالله العقيلي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ٢٠٠٠م.
- صورة الذات في شعر الشريف الرضي: قاسم كريم أحمد الخولاني، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م.

ثالثًا: البحوث المنشورة:

- ميزات الغزل عند الشاعرات الأندلسيات في ضوء النقد النفسي الحديث (بحث) عباس إقبالي، فائزة يسندى، إضاءات نقدية فصيلة محكمة، السنة الخامسة، العدد٢٠، كانون الأول، ٢٠١٥م.
- الجرأة في شعر الغزل النسائي في الأندلس: هادي طالب محسن العجيلي، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد: ٢٣، العدد ٤، ٢٠١٥م.